14 - وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون .

- 15 - ا يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون .

أي وإذا لقي هؤلاء المنافقون المؤمنين : قالوا آمنا وأظهروا لهم الإيمان والموالاة غرورا منهم للمؤمنين ونفاقا ومصانعة وتقية وليشركوهم فيما أصابوا من خير ومغنم { وإذا خلوا إلى شياطينهم } يعني إذا انصرفوا وخلصوا إلى شياطينهم فضمن " خلوا " معنى انصرفوا لتعديته بإلى ليدل على الفعل المضمر وشياطينهم سادتهم وكبراؤهم ورؤساؤهم من أحبار اليهود ورؤوس المشركين والمنافقين قال السدي عن ابن مسعود { وإذا خلوا إلى شياطينهم } يعني رؤساءهم في الكفر وقال ابن عباس : هم أصحابهم من اليهود الذين يأمرونهم بالتكذيب وخلاف ما جاء به الرسول صلى ا عليه وسلّم وقال مجاهد : أصحابهم من المنافقين والمشركين وقال قتادة : رؤوسهم وقادتهم في الشرك والشر (وهو قول أبي العالية والسدي والربيع بن أنس وغيرهم) قال ابن جرير : وشياطين كل شيء مردته ويكون الشيطان من الإنس والجن كما قال تعالى : { شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا } وقوله تعالى : { قالوا إنا معكم } أي إنا على مثل ما أنتم عليه { إنما نحن مستهزءون } أي إنما نستهزىء بالقوم ونلعب بهم وقال ابن عباس : { مستهزئون } ساخرون بأصحاب محمد صلى ا عليه وسلّم وقوله تعالى جوابا لهم ومقابلة على صنيعهم : { ا يستهزىء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون } قال ابن عباس : يسخر بهم للنقمة منهم { ويمدهم } يملي لهم وقال مجاهد : يزيدهم كقوله تعالى : { أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون } قال ابن جرير : أخبر تعالى أنه فاعل بهم ذلك يوم القيامة في قوله تعالى : { يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم } الآية وفي قوله : { ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما } الآية قال : فهذا وما أشبهه من استهزاء ا تعالى ومكره وخديعته بالمنافقين وأهل الشرك وقال آخرون : استهزاؤه بهم توبيخه إياهم ولومه لهم على ما ارتكبوا من معاصيه وقال آخرون : قوله : { ا يستهزىء بهم } وقوله : { يخادعون ا وهو خادعهم } وقوله : { نسوا ا فنسيهم } وما أشبه ذلك إخبار من ا أنه مجازيهم جزاء الاستهزاء معاقبهم عقوبة الخداع فأخرج الخبر عن الجزاء مخرج الخبر عن الفعل الذي استحقوا العقاب عليه فاللفظ متفق والمعنى مختلف (يسمى هذا النوع عند علماء البيان (المشاكلة) وهو أن تتفق الجملتان

في اللفظ وتختلفا في المعنى كقول القائل : .

قالوا اقترح شيئا نجد لك طبخه ... قلت : اطبخوا لي جبة وقميصا .

كما قال تعالى : { وجزاء سيئة سيئة مثلها } وقوله : { فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه } فالأول ظلم والثاني عدل فهما وإن اتفق لفظهما فقد اختلف معناهما وإلى هذا المعنى وجهوا كل ما في القرآن من نظائر ذلك والعمه : الضلال يقال : عمه عمها إذا ضل وقوله : { في طغيانهم يعمهون } أي في ضلالتهم وكفرهم يترددون حيارى لا يجدون إلى المخرج منه سبيلا لأن ا قد طبع على قلوبهم وختم عليها وأعمى أبصارهم عن الهدى فلا يبصرون رشدا ولا يهتدون سبيلا وقا بعضهم : العمه في القلب والعمى في العين وقد يستعمل العمى في القلب أيضا كم قال تعالى : { فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور }